مذكرة دفاع

- تقارير البوليس اتهمت الإخوان والشيوعيين بحرق القاهرة لكنها لفت حبل المشنقة حول رقبة أحمد حسين.
- مقلب من حفنى محمود يهز أجهزة الأمن.
- أحمد حسين يتهم الداخلية بأنها وراء كل ما حدث.

كانت تقارير البوليس والمباحث حول حريق القاهرة متضاربة.. فقد ذكر بعضها أن الشيخ محمد فرغلى من زعماء جماعة الإخوان المسلمين كان يحرض الجماهير على حرق دور اللهو والفنادق.

وكانت هناك تقارير أخرى تؤكد أن بعض الشيوعيين اشتركوا أيضاً فى المظاهرات وإشعال النار. وقد وردت أسماء فتاتين شيوعيتين هما عايدة السحيمى وإجلال السحيمى واسم الطالب عبد المنعم تمام على اعتبار أنهم رءوس الشيوعية فى هذه المظاهرات.

لكن معظم التقارير- وكان هذا واضحاً أمامى منذ الأيام الأولى لعملى وزيراً للداخلية منذ صباح الاثنين ٢٨ يناير ١٩٥٢- كانت تحاول الإمساك برقبة الحزب الاشتراكى ورئيسه أحمد حسين.

ولم يكن عداء البوليس لأحمد حسين جديداً، بل كان فى الواقع يسبق أحداث حريق القاهرة وكانت وزارة الوفد قد أصدرت أمرا بالقبض عليه، لكنه اختفى وفشل البوليس فى معرفة مكانه.

وربما كان من أغرب الحكايات التى جرت فى ذلك الوقت تلك التى أعلنت أنهم قبضوا على أحمد حسين فى عربة كانت تجوب القاهرة ليلاً، فى حين أن التجول كان ممنوعاً اعتبارا من التاسعة مساء حتى السادسة من صباح اليوم التالى، وكانت الأحكام العرفية المفروضة فى ذلك الوقت لا تسمح لأحد أن يخرج إلى الشوارع إلا إذا كان حاملاً تصريحاً خاصاً بذلك، وإلا تعرض لإلقاء القبض عليه وربما لإطلاق النار عليه إذا قاوم دوريات البوليس المنتشرة.

تصريحك يا أستاذ أحمد

لم يكن مسموحاً إذن بالمرور فى الشوارع ليلا إلا لمن يقومون بخدمات ضرورية كالأطباء وموظفى التليفون والكهرباء وسيارات الإسعاف التى تنقل المرضى والصحفيين. ولابد للمرور من حمل تصريحات مختومة من وزارة الداخلية.

وفى اليوم الرابع أو الخامس على ما أذكر حضر إلىّ المرحوم حفنى محمد والوزير السابق وطلب منى تصريحا لأن لديه مريضاً فى المستشفى فى حالة صحية دقيقة. ورجانى الوزير أن يكون التصريح لشخصين.

وأعطيت التصريح لحفنى محمود.

وكان يحلو له - كما عرفت فيما بعد - أن يستخدمه فى المرور ليلا مصطحبا أحد أصدقائه للفرجة على القاهرة وهى تعيش ليالى الطوارئ الكئيبة.

وفى ذات ليلة استوقفه أحد مراكز الحراسة أثناء تجوله فى شوارع وسط المدينة قرب الأماكن التى دمرها الحريق، وطلب الضابط المكلف بالحراسة التصريح الذى يعطيه حق المرور ليلاً، ولكنه أجاب الضابط بأنه فقد منه.. ثم وبصوت عال قال لرجل كان يجلس إلى جانبه: يا أستاذ أحمد حسين هات تصريحك وريه لحضرة الضابط.

وما إن سمع الضابط اسم أحمد حسين حتى تكهرب الموقف وطلب من قوة البوليس الموجودة معه أن تحيط بالسيارة، ثم طلب من الاثنين النزول والتوجه معه إلى قسم البوليس.

وصاح الرجل الجالس إلى جانب حفنى محمود: والله أنا مش أحمد حسين.. أنا مش أحمد حسين.

قال له الضابط: معاك تحقيق الشخصية؟

ولم تكن البطاقات الشخصية منتشرة فى ذلك الوقت، وعبثاً حاول الرجل أن يبحث فى جيوبه عن دليل يثبت به أنه ليس أحمد حسين..

وأصر الضابط على اصطحابهما إلى القسم.

وعن طريق الموتوسيكل الذى سبق الجميع فى الوصول إلى القسم تردد أنه تم القبض على أحمد حسين.

ولم ينتظر الموجودون فى القسم وصول «أحمد حسين» بل أبلغوا الخبر تليفونياً إلى أجهزة الأمن فى وزارة الداخلية والمحافظة..

ولكن بعد دقائق تبين أن الاثنين المقبوض عليهما هما الوزير حفنى محمود وكان يحمل تصريحاً بالتجول لشخصين قدمه فى قسم البوليس، أما الشخص الذى كان معه فقد كان صديقه كامل الشناوى!

وكان هذا أحد مقالبه فى صديقه كامل الشناوى والذى تتلمذ على يديه فى تعلم فن المقالب وإجادتها فيما بعد!

وإذا كانت الاتهامات قد أحاطت بأحمد حسين فى ذلك الوقت باعتباره الذى دبر حريق القاهرة - وهو مالم أكن شخصياً ميالا إلى تصديقه - فأظن من واجبى هنا أن أقدم دفاعا كاملا كتبه أحمد حسين بنفسه وأرسله إلىّ عن طريق أحد أعضاء الحزب، وقد حمل عنوان مذكرة بالأسباب الحقيقية والعوامل الطبيّعية التى أدت إلى حوادث يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ وتحديد المسئولين عنها.

ومن قرأ للمرحوم أحمد حسين - وقد كان مشهوراً بكثرة عناوينه الفرعية - سوف يكتشف على الفور أن هذه المذكرة كانت بأسلوب أحمد حسين نفسه وأوردها فيما يلى بعناوينها الفرعية.

نص مذكرة أحمد حسين

مقدمة

قد لا يوجد فى مصر كلها من يستطيع أن يتحدث عن الأسباب والعوامل التى أدت إلى حوادث يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ كما تحدث رئيس الحزب الذى ما فتئ ينذر ويحذر من وقوع أمثال هذه الانفجارات طوال عامين كاملين منذ وليت هذه الوزارة.

إن الحزب الاشتراكى الذى يعتمد فى جهاده على إنكار وسائل العنف والذى يدرك أكثر من غيره أضرار الثورات التى تلتهم الأخضر واليابس ولا تفرق بين العدو والصديق - وقد أخذ على عاتقه منذ اللحظة الأولى من تأسيسه أن يعمل بالطرق المشروعة على تجنيب البلاد خطر اندلاع نيران الثورة عن طريق الأخذ بالإصلاحات الاجتماعية الرئيسية وتدعيم الحريات العامة وتوطيد أركان الحكم الدستورى فى البلاد. ولو قد سمع لأقوال الحزب الاشتراكى فى الوقت المناسب واتبعت وصاياه وإرشاداته التى لا يبغى من ورائها إلا الخير العام لجميع طبقات الأمة لأمكن تفادى ما وقع يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢.

ولكن الحكومة السابقة بدلا من أن تسعى لهذه النصائح الصادقة عمدت إلى اضطهاد الحزب الاشتراكى حتى وصل بها الأمر إلى تعطيل الجريدة الاشتراكية من الناحية العملية فكانت النتيجة وقوع هذه الحوادث المؤسفة.

على أن ما وقع فى يوم السبت بالذات يمكن أن يكون درسا لو أننا حاولنا أن نستفيد من عبرته وأن نتخذ منه وقاية للمستقبل من مخاطر أشد جسامة. وهذا هو ما يدفعنى لكتابة هذه المذكرة التى أرجو أن تلقى عناية المسئولين فلا يضربون بها عرض الحائط.

وقبل أن أعرض لتحليل عناصر ما وقع فى هذا اليوم رأيت أن أحدد موقفى منه وكيف وصلت وقائعه إلى علمى. وذلك تبديداً لكل شك أو وهم فى أن يكون للحزب الاشتراكى يد فيما حدث فى هذا اليوم وهى هذه الفرية التى افتراها وزير الداخلية السابق قبل مغادرته الحكم مباشرة.

حيث رأى أن أسهل طريق يتخلص به من مسئوليته الجسيمة هو أن ينسبها إلى الحزب الاشتراكى وإلى رئيسه وإلى نائب رئيسه بينما كان الرئيس ملازما فراش المرض. أما نائب الرئيس فقد كان مقيماً فى شربين لا يعلم شيئا عما يجرى فى القاهرة.

الساعة التاسعة صباح السبت :

كنت طريح الفراش عقب إصابتى بأنفلونزا منذ يوم الخميس ٢٤ يناير واستيقظت فى الساعة التاسعة من صباح السبت ٢٦ يناير لأسمع من أفراد أسرتى أن رجال البوليس الذين اعتادوا أن يرابطوا على كوبرى عباس عندما تعلن حالة الطوارئ غير موجودين فى مكانهم بل لا يوجد أى رجل بوليس فى الشارع وأن متحدثا قد تحدث فى التليفون ليقص علىّ أنه فى أثناء ذهابه إلى عمله بإحدى الوزارات شاهد سيارات لورى مسلحة بعساكر بولكات النظام وهم يهتفون: أين السلاح يا نحاس؟ أين السلاح يا سراج الدين؟ وانه سمعهم يهتفون بسقوط سراج الدين بالذات ولم يلبث التليفون أن دق من جديد وكان المتكلمون بعض معارفنا من ميدان السيدة وهم يقولون أن عساكر بلوكات النظام يقفون فى ميدان السيدة زينب وهم يهتفون ضد الحكومة وأن باقى رجال البوليس يشدون من أزرهم.

البوليس فى الجامعة :

ثم علمت أن إحدى هذه الفرق المؤلفة من رجال البوليس قد ذهبت إلى الجامعة فى ساعة مبكرة من صباح هذا اليوم وعسكرت بها مع فريق آخر من عساكر الجيش وذلك فى انتظار مَقْدِم الطلبة.. لم يكد الطلبة يتوافدون حتى عقد العساكر مؤتمرا وراحوا يخطبون ضد الجيش وضد الحكومة ويدعون للثورة والتمرد.

علمت فيما بعد أن أحد الوزراء شاهد بنفسه هذا المؤتمر فى الصباح وسمع ما قيل فيه عن بُعد، ولم يشأ أن يظهر نفسه خوفا من تطور الأمور إلى ماهو أسوأ.

وقد استمر مؤتمر العساكر والطلاب حتى الساعة العاشرة صباحا ثم تكونت مظاهرة يقودها رجال البوليس وعساكر من الجيش وعدد كبير من طلاب الجامعة ونزلت فى طريقها

إلى مجلس الوزراء فقابلها فى الطريق بعض ضباط الجيش وجنوده «فى ميدان الاسماعيلية» فانضموا إلى المظاهرة التى تضخمت وأصبحت شديدة الخطر.

مظاهرة الأزهر :

ثم وصل إلى علمى «عن طريق التليفون دائماً» بواسطة مندوبى الجريدة الذين بدءوا يتجولون فى أنحاء القاهرة لموافاتى بالأخبار أولا بأول.

وصل إلى علمى أن ماحدث فى الجامعة حدث مثله فى الأزهر. فإن عساكر بلوكات النظام فى أثناء نزولهم من معسكراتهم مروا بمنطقة الأزهر وخطبوا فى طلابه وخطب الطلاب بينهم وأن مظاهرة ضخمة تألفت على الفور وسارت فى شارع الأزهر وبدأت جموع الشعب تنضم إليها بأعداد ضخمة.

عمال الورش الحكومية :

وأبلغنى مندوب آخر أن عمال ورش الحكومة المختلفة قد نزلوا بجموعهم الضخمة وهم يهتفون ضد الحكومة وضد وزير الداخلية ويطالبون بالسلاح وإعلان الحرب ضد الانجليز وأن رجال البوليس يسيرون معهم ويشتركون فى الهتافات والجميع يهتفون: أين الجيش؟!

فى شارع محمد على :

وأبلغنى متحدث آخر أن مظاهرة كبرى تنحدر من ناحية القلعة مخترقة شارع محمد على وأن الذين يقودون هذه المظاهرة هم بدورهم عساكر من بلوكات النظام وأن عسكريا من الجيش وآخر من البوليس محمولين على الأعناق يتوليان الهتاف. وهما بدورهما يطالبان بالسلاح وبإسقاط حيدر وينعيان على الجيش عدم تدخله. وكان من بين الهتافات التى راح العسكر يرددونها «يحيا الطلبة مع الحكام» ويعنى بالحكام رجال البوليس.

مجلس الوزراء منذ الساعة العاشرة :

ومنذ الساعة العاشرة صباحا بدأت جموع المتظاهرين تتجه صوب مجلس الوزراء وتحيط به. وقد أبلغت أن البوليس أو بالأحرى حرس الوزارات قد فتح الأبواب للمتظاهرين الذين ملئوا حديقة المجلس وارتفعت هتافاتهم ضد الجيش وضد حيدر ومطالبته بالسلاح وضد سراج الدين..

وعندما وفدت بعض فرق بلوكات النظام حوالى الساعة الحادية عشرة أبلغت أنهم بدأوا يطلقون الرصاص فى الهواء تحية للجماهير وإرهابا للسلطات وتحولت الجموع حول مجلس الوزراء كالبحر الزاخر يدوى هتافهم كالرعد. وكان رجال البوليس وعساكر من الجيش يختلطون بالمتظاهرين كأنهم أفراد منهم.

الاتصال بالأستاذ مصطفى أمين :

كان مجموع هذه الأنباء التى تجمعت لدى حتى الساعة الحادية عشرة تدل على أن القاهرة فى حالة ثورة خطيرة. وأن الحكومة التى أوصلت الأمور إلى هذا الحد لا ينبغى أن تبقى فى الحكم دقيقة واحدة لإنقاذ الموقف وأن وزير الداخلية الذى أوصل الأمور إلى حد تمرد رجال البوليس والجيش يجب أن يحمل المسئولية.

وعلى ذلك فقد بادرت بالاتصال بالأستاذ مصطفى أمين صاحب أخبار اليوم لعلمى باتصاله الوثيق برئيس الديوان فسألته عما لديه من معلومات عن الحالة فوجدت أن لديه صورة كاملة عن الموقف بما فى ذلك محاصرة البوليس والمتظاهرين لمجلس الوزراء وإطلاقهم الأعيرة النارية فى الهواء وان خمسة آلاف من عساكر بلوكات النظام هم الذين قاموا بهذه الحركة.. فطلبت منه أن يتصل برئيس الديوان وأن يبلغه عن لسانى خطورة الموقف وأنه إذا استمر على هذا المنوال طويلاً فإنه قد يؤدى إلى نتائج لا تحمد عقباها وأن الوزارة يجب أن تقال فوراً لتهدئة النفوس وأننى أقترح تأليف وزارة قومية برئاسة على ماهر باشا فوعدنى بأن يبلغ هذه الرسالة.

الساعة الثانية عشرة :

ولم يكد ينتصف النهار حتى كانت القاهرة كلها قد غرقت فى الحمى فقد تسامع الجميع بانضمام البوليس إلى المتظاهرين فشعر الجميع كما لو كانوا أحرارا طلقاء من كل قيد.. فراحوا ينفسون عما فى صدورهم من سخط متوارث مكتوم.. فعادت المدارس كلها إلى إغلاق أبوابها بعد أن هجرها الطلاب الذين كانوا قد انتظموا فى الدراسة صباحا. وغادر العمال مصانعهم وبدأت جموع الشعب تتكتل حول مجلس الوزراء وفى ميدان عابدين ووسط القاهرة. وكان ذلك ينذر بقرب هبوب العاصفة وفى ميدان عابدين رأى ضباط الجيش بأعينهم وسمعوا بآذانهم شعور الجماهير. فقد أبلغت أن الشعب قد هتف فى وجوههم منددا بموقفهم وداعيا إياهم للاشتراك فى الكفاح.. وقيل لى: إن الجموع هتفت فى ميدان عابدين طالبة اشتراك الجيش فى الكفاح وسقوط حيدر ومطالبته بالسلاح.

وفـي مجلس الـوزراء بدأ الموقف يتطـور بحيث خيف أن يتطـرق الجمهور إلى غرف الرئاسـة ويحدثوا بها حدثـا بعد أن ذاب رجال البوليس والحرس وأصبحوا يجلسـون على النوافذ تحت أبصار الوزراء أنفسهم.

عبد الفتاح حسن يخطب :

وقد حضر عبد الفتاح حسـن إلى مجلس الوزراء ليخطب فى المتظاهرين فلم يسـتطع أن يتكلـم لكثـرة الهرج والمرج .والهتافـات العدائية. وقد كان علـى رأس المتجمهرين ضباط من الجيش وقد تعدى أحدهم عبد الفتاح حسـن وسـبقه إلى خطابـة الجماهير فندد بموقف الحكومة وموقف سراج الدين.

وقد أذاع على الجمهور تعليمات سرية وزعت على أفراد الجيش تدعوهم فيه إلى الابتعاد عن المدنيين وعدم الخوض فى حديث إلغاء المعاهدة وان كل ضابط يشعر برغبة فى الدفاع عن البلد يُكتب فى قائمة سوداء ويتبعه البوليس السياسى.

وخطب بعد هذا الضابط عسـاكر من الجيش وعسـاكر من البوليس وعمال وطلبة.. وكانت الجموع الحاشدة تهتف منادية بسقوط حيدر والحكومة وسراج الدين.

وأخيـراً جئ بميكرفون واسـتطاع عبد الفتاح حسـن أن يتكلم.. ولكـن الجماهير عادت لمقاطعته بشدة.. وبدأ ضغطها يزداد.. فلم يسع الوزير إلا أن يهتف بسقوط الاستعمار وسقوط انجلترا وسقوط البغى والعدوان.. وهكذا تحول الوزير إلى أحد الهتافة ليستطيع إنقاذ نفسه وإنقاذ مجلس الوزراء من سخط الجماهير.

حرق كازينو أوبرا :

وبينما كان هذا يجرى فى مجلس الوزراء كان هياج الجماهير قد تطور إلى مرحلة جديدة وهى النتيجة الطبيعية لاسـتمرار المظاهرات منذ الصباح المبكر حتى السـاعة الواحدة بعد الظهـر دون وجود ضبط أو ربط فـى المدينة، وانهارت هيبة الحكومـة والقانون. وكان هذا التطور هو حرق كازينو أوبرا. وقد أزعجنى هذا النبأ أشد الإزعاج وقلت لمحدثى أمَا من سبيل لإنقاذ الموقف سـريعا؟ فأجابنى أن النار تشـتعل والجمهور يذكى إشعالها دون أن يتحرك رجال البوليس أو يمدوا يدا للحيلولة دون الاستمرار فى إذكاء النيران. بل إن رجال المطافئ قـد دعـوا للاطفاء فرفضـوا أن يحضروا تضامناً منهـم مع رجال البوليس علمـا بأن المطافئ العمومية لمدينة القاهرة لا تبعد سوى بضعة أمتار عن كازينو أوبرا.

وكنت أعلم أن هذا الحريق والسكوت عليه بهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون عود الثقاب الذى سيشعل القاهرة كلها.

علمت فيما بعد أن أحد الوزراء قد ذهب بنفسه فى ساعة متأخرة للإشراف على عملية إطفاء كازينو أوبرا، وأنه - على ماقال - كان يرى الناس من حوله وهى لا تمد يدا أو عونا لإطفاء هذا الحريق كأن الأمر لا يعنيها.. بل إن شعوره الداخلى كان يدفعه ليتصور أن كثيرين من الناس حوله كانوا يريدون أن يروا النار أكثر اشتعالاً.

الاتصال بالأستاذ ادجار جلاد

هالنى تطور الحوادث إلى هذا الحد الذى ينذر بأعظم شر فأسرعت بالاتصال بشخص آخر أعرف مدى صلته الوثيقة بالمسئولين وهو الأستاذ ادجار جلاد صاحب الزمان فاتصلت به تليفونياً فى جريدة الزمان. فعلمت منه أنه نشر فى جريدته المعلومات السابقة كلها، وأشار إلى تمرد رجال بولكات النظام وأن الداخلية أرادت أن تصادر الجريدة فاحتج عليها لأنها لم تصدر تعليمات فى وقت مبكر لعدم نشر هذه الأنباء ولذلك فهو مصر على ترك الجريدة ويتعهد ألا يصدر بعد ذلك ملاحق أو يشير إلى ما حدث. ويظهر أن البوليس أخذ بوجهه النظر هذه وترك الجريدة بغير مصادرة.

فسألت الأستاذ جلاد: هل تعلم أن الأمور تفاقمت وأن الجماهير بدأت فى إشعال النيران؟ فأبدى إنزعاجه بهذا النبأ.. فرحت أصور له خطورة الموقف كما بدأت ألمسها وأنا فى فراش مرضى من الأنباء التى تصلنى تباعاً من هنا وهناك. وأنه لا يمكن أن تعيش أمة هكذا بغير حكومة لأنها لم تعد فى البلد حكومة وأنه لا سبيل لإنقاذ الموقف إلا بإقالة الحكومة فورًا وتأليف وزارة جديدة برئاسة على ماهر وطلبت منه أن ينقل رأيى هذا إلى من يرى نقله إليه من المختصين.. مشفوعاً بإشفاقى على ما سيحل بمصر إذا استمر الحال على هذا المنوال. فوعدنى بأن يفعل ذلك وطلب منى أن نتقابل.. خبرته بأننى ملازم الفراش وإنه يسعدنى أن يتكرم بزيارتى.

الفوضى فى الساعة الثالثة مساء

لم تكد الساعة تبلغ الثالثة مساء حتى فهمت من بعض محررى أخبار اليوم الذين اتصلت بهم أن الحرائق قد انتقلت إلى سينما ريفولى وراديو وميامى وأن الفوضى قد انتشرت فى

كل مكان. وأن البوليس يقف موقفاً سلبياً من كل هذه العمليات. والمطافئ لا تتمكن من القيام بعملها فالجمهور يقطع خراطيم المياه ليحول بينها وبين العمل.

الاتصال برفعة على ماهر باشا

عند هذا القرار رأيت أن أتصل بالرجل الذى أتصور أنه قادر على إنقاذ الموقف وهو رفعة على ماهر باشا فأسرعت بالاتصال به فوجدته لا يعرف تماماً مدى خطورة الحركة، وماهو جار فى مجلس الوزراء وفى ساحة عابدين وانضمام البوليس وكثير من أفراد الجيش للجمهور، وأن ذلك ما جعل القاهرة فى حالة ثورة لا سبيل لعلاجها إلا بإقالة الوزارة على الفور وتأليف وزارة جديدة برئاسته هو بالذات، على أن تكون وزارة قومية تخدم الشعب بروح وطنية صادقة.. ورجوته ألا يجعل هناك أى اعتبار لمسألة أنه لا يصح أن يتكلم عن نفسه فالمسألة الآن ليست مسألة شخصية وإنما هى مسألة إنقاذ للبلد. وأظهرت له مخاوفى إذا لم تسقط الوزارة واستمرت هذه الفوضى وهذه الحرائق أن يبادر الإنجليز باحتلال القاهرة فوراً. ورجوته فى ختام الحديث أن يتصل بحافظ عفيفى وأن يحيطه بجلية الأمر وضرورة الإسراع لإنقاذ البلاد بالصورة التى اقترحها.

الاتصال بالأستاذ ابراهيم شكرى

وبعد ذلك رأيت أن أتصل بالأستاذ ابراهيم شكرى الذى كان يقيم فى شربين وذلك ليحضر لمصر باعتباره نائبا فى البرلمان ليكون أقدر منى على العمل والاتصال الشخصى نظراً لمرضى الذى يجعلنى عاجزاً إلا عن طريق الاتصال التليفونى وبالفعل اتصلت بالأستاذ ابراهيم شكرى فوجدته لا يعرف شيئاً عما يقع فى مصر فأثبت له خطورة الموقف ورجوته أن يحضر حالاً فوعدنى بذلك.

تطور جديد فى الموقف

جاءتنى الأنباء بعد ذلك أن مظاهرة الجماهير الحاشدة قد بدأت تتفرق وأن بعضها قد تحول إلى مظاهرات صغيرة بدأت فى أفواج متفرقة فى مختلف الجهات على حرق أنواع مختلفة من المحلات بغير ضابط. وكان معنى ذلك تطور الحال إلى الفوضى المطلقة.. وكان كل من يحدثنى بالتليفون بعد ذلك من مختلف أفراد الشعب يظهرون بالرعب والفزع مما يرون ويشاهدون ويطلبون النجدة.. فقلب القاهرة يوشك أن يحترق عن بكرة أبيه.

رفعة على ماهر باشا ثانية

وفى هذه الساعة خاطبنى رفعة على ماهر باشا وأخبرنى أنه لم يتمكن من مخاطبة حافظ عفيفى فقلت له ما أصبح فيه الناس من رعب وفزع والخطر المحدق بحرق مدينة القاهرة وأن الموقف أصبح يتلخص فى خراب ودمار شامل فلا بوليس ولا جيش ولا حكومة وإنما فوضى وفتنة.. لايعرف سوى الله كيف تنتهى وكيف تنجو منها البلاد.. ولقد عاودنا الحديث فى الموقف وملابساته وكررت رأيى أن العلاج السريع هو أن يؤلف وزارة تدارك الموقف بحزم فطلب منى رفعة على ماهر أن أظل على اتصال به فوعدته أن أمر عليه اليوم التالى إذا مكنتنى صحتى وكانت الظروف تسمح بذلك.

مؤامرة على قتلى

وفى الساعة الرابعة مساء حدثنى متحدث من وزارة الداخلية.. أخبرنى أن الأحكام العرفية ستعلن وأن هناك همسًا بالتآمر علىّ.. وأنه يحذرنى من أن أغتال فى وسط الفوضى. وتزعم الحكومة أن سبب موتى هو اشتراكى فى الحوادث.. أو أننى قاومت الحكومة عندما همت بالقبض علىّ. ولقد رفض محدثى أن يقول لى اسمه مكتفياً بقوله إنه صديق. ولم أستطع أن أستبعد هذه الفكرة من رأسى بالرغم من غرابتها.. وسرعان ما استبدت بى الفكرة وأننى أصبحت فى خطر محقق إذا واصلت بقائى فى البيت بعد أن تطورت الأمور إلى هذا الحد من الفوضى واختلط الحابل بالنابل.. ولم تعد فى مصر حكومة مقامة.. ولم تعد هناك قوانين أو قواعد مرجية.. وفى الساعة الخامسة تحايلت على نفسى بالرغم من تعبى وانتقلت إلى بيت آخر من بيوت الأسرة لأواصل تمريضى فيه ريثما ينجلى الموقف.

اتهام الاشتراكيين

وفى الساعة السادسة مساء اتصلت من جديد بالأستاذ مصطفى أمين بحثاً خلف الأخبار ولأعرف تطورات الموقف الأخيرة، فإذا به يفاجئنى بأن فؤاد سراج الدين قد أبلغ السراى أن الاشتراكيين هم المسئولون عن كل ما وقع فى مدينة القاهرة هذا اليوم.

فوقع علىّ هذا وقع الصاعقة.. وكان آخر مايمكن أن يتطرق إليه خيالى أن يصل الإفلاس والإجرام بوزير داخلية إلى الحد من الزور والبهتان واتهام أبرياء سعوا جاهدين لتفادى

وقـوع أمثال هذه الكارثة فيلصق بهم أخطر تهمة عرفها التاريخ ليستر بها عجزه وفشله ويغطى بها أحقاد نفسه الرخيصة.

محاولة القبض علىّ

وفى هذه الأثناء - وقد بلغت الساعة السابعة مساء - وصل الأستاذ ابراهيم شكرى من شربين وكان كما قدمت لا يعرف شيئا مما وقع إلا ما أخبرته به فى التليفون.. ولم نكد نشرع فى ذكر ماحدث حتى أبلغنا التليفون أن قوة من الجيش والبوليس قد دهمت الحزب بحثاً عنى فلما لم تجدنى توجهت إلى المنزل للقبض علىّ وبهذا النبأ صح هذا الإنذار الذى وصلنى من مجهول.. فلم يسبق لرجال الجيش اعتقال متهم.. ولم يكن هناك أى مبرر لاعتقالى إلا أن تكون هناك مؤامرة فقد كان هناك محضر تحقيق فى النيابة العمومية يستدعى سماع أقوالى، ومنذ الصباح المبكر وقد أوفدت إلى النيابة أحد المحامين وهو الأستاذ سليمان رحارى ليرجو وكيل النيابة المحقق الأستاذ عدلى نسيم أن يحضر إلى المنزل لأخذ أقوالى فوعده بذلك وظل الزميل المحامى فى انتظار فراغ وكيل النيابة من أعماله.. إلى أن توالت حوادث الحريق والاضطرابات فأجل المحقق التحقيق إلى اليوم التالى ومنها أكون قد استكملت صحتى. وفى حالة مرضى طلب منى أن أرسل شهادة طبية وقد أبلغت ذلك له تليفونيا.. فلم يكن هناك أى مبرر لحضور ضباط من الجيش والبوليس لاعتقالى إلا أن يكون خبر المؤامرة الذى وصل إلى علمى صادقاً. ولذلك آثرت أن أبقى حيث كنت حتى ينجلى الموقف وأضع نفسى تحت تصرف سلطات مسئولة واطمئن إلى إجراءاتها..

هـذه هى حوادث يـوم ٢٦ يناير كما وصلت إلى علمى والجهد الذى بذلته قدر طاقتى لتفادى التطورات السيئة التى حدثت فى هذا اليوم. وليس هناك ما يملأنى غبطة وارتياحاً أكثر من أن الحل الذى اقترحته فى هذا اليوم قد نفذ.. وأن الرجل الذى تصورته قادراً على إنقاذ الموقف قد اختير بالفعل. ولو قد تم هذا الاختيار فى ظهر يوم السبت ٢٦ يناير لأمكن تفادى كثير من التطورات السيئة ولما كانت هناك ضرورة لإعلان الأحكام العرفية التى لجأت إليها الحكومة الساقطة لتغطية فشلها وعجزها.. بل وإجرامها ضد البلاد والشعب.

والنتيجة التى تستخلص من البيان السابق هى:

أولاً - أن مـا وقـع فى مدينة الاسماعيلية ليلة الخميس وأذيع على الناس يوم الجمعة من دك محافظة الاسماعيلية وقتل عدد كبير من رجال بوليسها وجرح عدد أكبر وأسر ألف

عسكرى.. كان لهذه الأخبار أسوأ الأثر فى نفوس الشعب بصفة عامة فزادته سخطًا على سخط وضاعف من غضبه ما تظهره الحكومة من عجز وضعف فى مجابهة الموقف.

ثانيـا – أن تمرد رجال بلوكات النظام فى الصباح المبكر من يوم السـبت يجب أن يعتبر بمثابة عود الثقاب الذى أشعل نيران هذا اليوم.

وأنـه كان متعيناً على وزيـر الداخلية أن يقدر خطورة هذا التمرد والنتائج الخطيرة التى ستترتب عليه إذا لم يبادر بعلاجه علاجاً حاسمًا فى ساعة مبكرة. وأنه قد فشل فى قمع هذا التمرد – بل يبدو أنه لم يحاول علاج هذا التمرد – فلم يبق أمامه إلا أن يسـتقيل لا أن يخفى خطورة الموقف الذى تداعت أحداثه كما حدثت فيما بعد مما يؤكد فشل وزير الداخلية وأنه إذا كان هناك من يمكن اتهامه بحرق القاهرة فهو وزير الداخلية وأجهزته المسئولة.

❑❑❑

١ – الملك فاروق .

٢ – محلات شاهر بشارع ٢٦ يوليو (فؤاد الأول سابقا) أثناء حريق القاهرة .

٣ – أحمد حسين يتهم الداخلية بأنها وراء كل ما حدث .

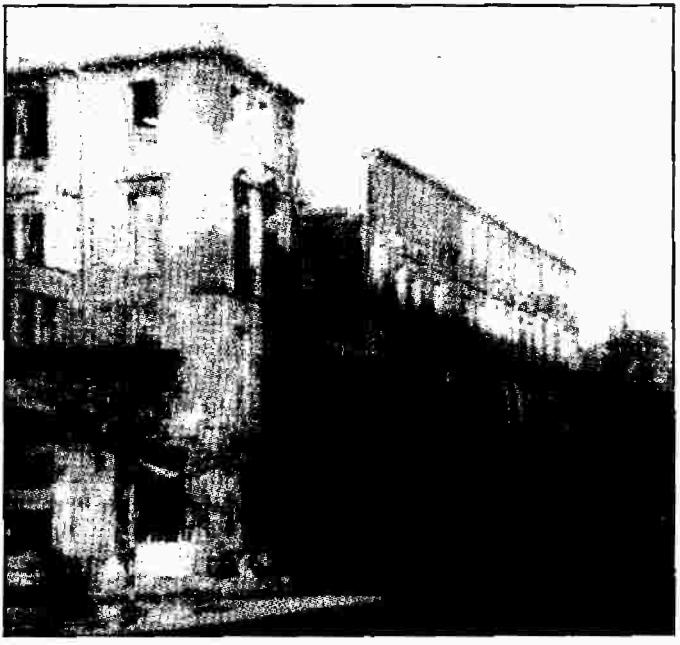

٤ – أطلال محلات أوريكو كما بدت بعد فى اليوم التالى للحريق .